الاحتجاج المعلن في صمت البحر

غسان كاظم

ابان الاحتلال النازي لفرنسا الذي رزحت تحت وطأة كابوسه الرهيب اكثر من اربعة اعوام منذ ١٩٤٠، عاشت البلاد بأسرها في حلكة ليل طويل، وعم الارهاب والخوف، وخيم الصمت في البيوت والشوارع، صمت ثقيل اغرق الاحياء كلها باسطاً اجنحته على كل شيء، صمت الاحتجاج والرفض، لكن ابناءها من الادباء والمثقفين لم يكتفوا بذلك ولم يبارحهم الامل في الخلاص من هول الكارثة، وطرد الغزاة الفاشست، حيث أئتلفت نخبة من الادباء والشعراء من شتى الاتجاهات والمذاهب الذين ابدوا استعدادهم للتضحية عبر ايصال الكلمة المكتوبة، كلمة الحرية، من بينهم اراغون، والروائي مورياك، معرضين حياتهم للخطر باندفاعهم للعمل في اماكن واقبية سرية لاستصدار المنشورات والكتب، التي من شأنها بث الامل في النفوس، واذكاء روح التحدي، بما اشتملت عليه من قصص وقصائد ملتهبة، التي راحت توزع في الخفاء، وتحض على المقاومة، ومقارعة العدو، اذ اقاموا داراً للنشر تدعى (دار منتصف الليل) وقد تعاهد اعضاء هذه المجموعة للعمل باندفاع وعزيمة، وفي سرية تامة للحيلولة دون انكشافهم لعصابات الجستابو التي كانت تجوب شوارع المدن، ناشرة الذعر والخوف والموت بين الاهالي، وعلى الرغم من اجواء التوتر التي تحيط فرنسا برمتها، تحلى اولئك الادباء بالشجاعة الفائقة، مستخفين بالموت الذي يتربص بهم ويهددهم، حينما شرعوا يطبعون المنشوارت والكتب، ويسربونها بين الناس، والى البيوت والجامعات والكنائس، بأسماء مستعارة، وقد غدت تلك الكتابات والقصص والاشعار الثائرة، تحيي الامال باقتراب انجلاء كابوس الفاشية، والخلاص من ربقة الاحتلال، ومن بين هذه الاعمال التي اصدرتها الدار في تلك الحقبة المظلمة الرائعة الادبية (صمت البحر) ١٩٤١، باسم منتحل هو (فركور). هذه القصة التي احدثت فور صدورها اثراً عميقاً في نفوس الفرنسيين بعد تداولها سراً، فألهبت مشاعرهم، وعواطفهم الوطنية، وذاع صيتها، وعمت شهرتها، فتعدت حدود البلاد، بعد ان ترجمت لعدة لغات، نظراً لما اثارته من اعجاب القارئ لبراعة فنها وخيالها الخلاق، وصمود ابطالها، في مقاومتهم للضابط الالماني بالصمت والاحتجاج، الذي ابدته الفتاة والشيخ ازاءه، متجاهلين سعية لمد جسور العلاقة والتعاطف الانساني معهما، بما كان يحمله من خصال حميدة وثقافة، وولع بالموسيقا، مما جعل قلب الفتاة يفيض حباً له، لكنها بقيت متكتمة، ولم تذعن لهواها وغرامها، وقاومت حبها، اذ سورت نفسها بصمت عميق كصمت البحر.

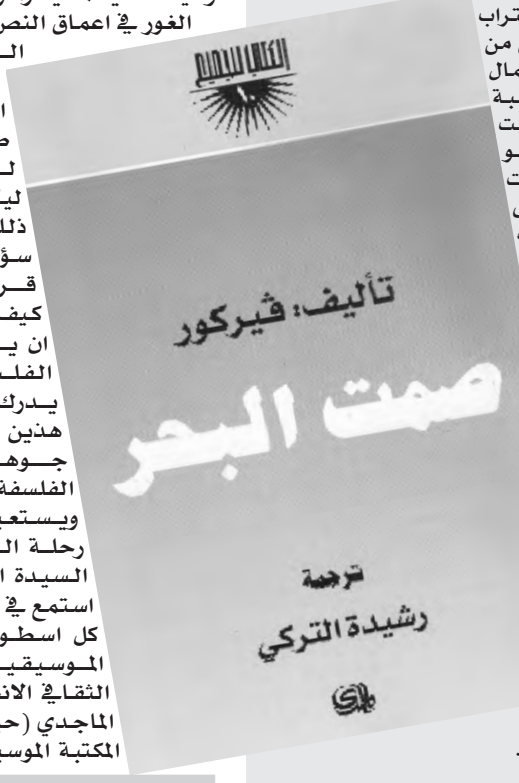

خزعل الماجدي عن كثب

لاجرؤ على تسمية هذه الكتابه حواراً، فليس ثمة خطة ولاموضوع محدد ولامحاور، ولاأسئلة مرتبة، وانما استرجاع ذكريات في الاغلب وشجن يتعالى على الوجع.

فعندما يعود خزعل الماجدي في حديثه الى بدايات تكوينة الفكري والجمالي، الى طفولة ثرية بالقراءة والتأمل والملاحظة ومداعبة الكلمة، وغنية ايضاً بالحرمان المهمل، اتنبه الى فكرة الكتابة من شاعر كانت حياته اكبر من كل حرمان.

صافي الياسري

فقد كان يعيش الكتاب والقصيدة والرواية بطريقة التماهي معها.. وان ركز على دهشته المستمرة المستعادة كلما قرأ (لعبة الكريات الزجاجية) لهيرمان هيسه الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٤٦، وكان يلتهم قراءةً كل ماكان يقع تحت يده من كتب وصحف ومجلات، كان مأخوذاً بالكلمة المكتوبة.. لكنه منذ البداية كان ينمي وعياً نقدياً لما يقرأ، ويحاول دائماً الغور في اعماق النص، قراءة مابين السطور أو مخالفة الكلمات مثل طفل يكسر لعبته ليكتشفها، ومع ذلك كان هناك سؤالان يحكمان قراءته، هما.. كيف؟ ولماذا؟ قبل ان يكتشف الفلسفة ودون ان يدرك في البدء ان هذين السؤالين هما جوهر وبوابة الفلسفة.

ويستعيد الماجدي رحلة الذكريات مع السيدة الموسيقا فقد استمع في وقت مبكر الى كل اسطوانات المكتبة الموسيقية في المركز الثقافي الانجليزي. يقول الماجدي (حين تعرفت الى المكتبة الموسيقية في المركز وعرفت ان علي ان ادفع (ديناراً واحداً فقط) كتأمينات للاسطوانة التي استعيرها ذهبت الى (سوق هرج) واشتريت جهاز (كرامفون) مستعملاً لكنه يعمل ويلبي الغرض، ثم عدت الى المكتبة واستعرت الاسطوانة الاولى وتعرفت الى موسيقاً اغلب شعوب العالم والاسطوانة التي كنت اعيدها الى المكتبة كانت تنتزع شيئاً من روحي وتأخذه معها، وكنت استمع لكل اسطوانة عشرات المرات، حتى اني صرت احفظ احياناً مقاطع من السمفونيات والكونشيرتات والسوناتات المسجلة عليها دون ان اعرف شيئاً عن النوطة، كنت اسمع واستمتع، ونمت عندي ذائقة واذن موسيقيتان مرهفتان-ياالهي كيف فرت مني تلك الايام السعيدة) لايمكنك مواساة الماجدي فأنت الاخر فرت ايامك فرار أيامه.

ويمضي الماجدي في حديثة قائلاً: (لم تعد الموسيقا واللوحة والشعر مما يكفيني فرحت ابحث مثل الصوفي عن طرق وصول اخرى درست السحر دراسة علمية، وعلم الاسطورة (الميثولوجيا) فانا اصلاً اختصاصي (الأنثربولوجي) واوغلت في دراساتي التي صارت جزءاً من بناء كياني الفلسفي والادبي فيما بعد.

وكانت الميثولوجيا العراقية معيني الذي لاينضب ايحاء في شعري وتحليلاتي وكتاباتي المسرحية).

والماجدي ساهم مساهمة فاعلة في مسرح الصورة فقد كتب سبع مسرحيات لهذا اللون وكتب مسرحيات عديدة من اهمها (هاملت) هاملت الاخر الذي لايمت لشكسبير بصلة ويمكن القول بثقة انه هاملت الماجدي، هل هو النسخة (النكتف) من هاملت شكسبير؟ لاادري ولااستطيع الحكم، لكنه بالتأكيد ليس هاملت شكسبير.

السؤال الوحيد الذي وجهته للماجدي كان بعد ان سألني اين اختفيت اكثر من ثلاثين سنة؟ فقلت له انا نمت دخلت سباتاً طويلاً.. وانت؟ قال(انا لم اكن بطلاً ولم ارغب في ان اكون لاتقاطع مع النظام في معركة خاسرة سلفاً، كان همي هو نتاجاتي، وبرغم كل محاولات النظام لاحتوائي، كنت افلت بهذه الطريقة او تلك لاواصل السير في بناء مشروعي الادبي والفلسفي الخاص، وحين وصلت الامور الى مايشبه وجوب الحسم في الموقف، اجتمعنا انا-خزعل الماجدي وزاهر الجيزاني وسلام كاظم و رعد عبد القادر وكمال سبتي وفاروق يوسف، واتفقنا ان نشكل خطاً اخر بعيداً عن مسار النظام.

وبين عامي ٧٨ و٩٤ كنا نعيش ثورة في الشعر تشبه ثورة الرواية في اميركا اللاتينية، على الصعيد الفني، لكننا كنا نشعر اننا على وشك الصدام مع النظام فغادر بعضنا العراق، ورحلت انا الى الاردن وهناك نشرت معظم نتاجاتي، وكنت اتقاضى عنها ثمناً بخساً وكنت اوافق مضطراً، لاني كنت اريد الاستمرار، ولان الوضع في العراق لم يعد يطاق ولم نعد قادرين على توفير لقمة العيش واحتياجاتنا الاخرى واحتياجات عوائلنا، ثم حصلت على عقد في ليبيا أنهيته بعد سقوط النظام وعدت على عجل الى بغداد) ويواصل الماجدي (الان انا استمتع بزمني الجديد برغم انه ليس في مستوى الطموح، مستغرقاً في تطوير نظريتي حول (العقل الشعري) وهو احد أربعة عقول (لايرتب الماجدي لهذه العقول الاربعة تسلسلاً او أولوية بل يحددها كموجودات في آن واحد) والثلاثة الباقية هي العقل العلمي والعقل الفلسفي والعقل الديني، والعقل العلمي هو عقل الرياضيات تحديداً والمعادلات والقوانين المادية الملموسة التي لاتقبل النقاش، والعقل الفلسفي هو عقل الاسئلة التي تبحث عن اجابات (تمنطق) الوجود ويضم الى جناحية الفلسفة المادية والمثالية ومابينهما من مستجدات الشك واليقين، اما العقل الديني فهو عقل الايمان المطلق بالقوة العليا المهيمنة المتحكمة التي تسيطر على كل شيء وتسير كل شيء عقل الايمان بالاله بعبارة أدق، وبخلاف العقول الثلاثة السالفة، يخرج العقل الشعري على كل القوانين ويعيد صياغتها اوينبذها ويراكم جمالياته او يفرطها، ويعيد بناء العالم او يهشمه، ربما هو العقل الذي لاتستوعبه الكلمات لكنها جزء من نتاجه يعطيها مدلولاتها ويتلاعب بها كما يشاء) وللماجدي كتاب يدون بالتفاصيل رؤيته للعقول الاربعة والعقل الشعري بشكل خاص، سأساله في المرة القادمة عنه بعد ان أقرأه بامعان، وحين أقرر محاورته، وعندها ستكون معي الة تسجيل واوراق وكاميرا وعندها سأقول اني حاورت الدكتور خزعل الماجدي، أما هذه الاسطر فهي ليست سوى حديث منوع حفر في ذاكرتي وانا واثق ان صديقي العزيز الماجدي سيدهش لانني لم أنس شيئاً مما دار بيننا سواء في غرفتي ام في الحافلة العائدة الى بغداد.

حكايات من عراقيا

عبد الكريم كاصد

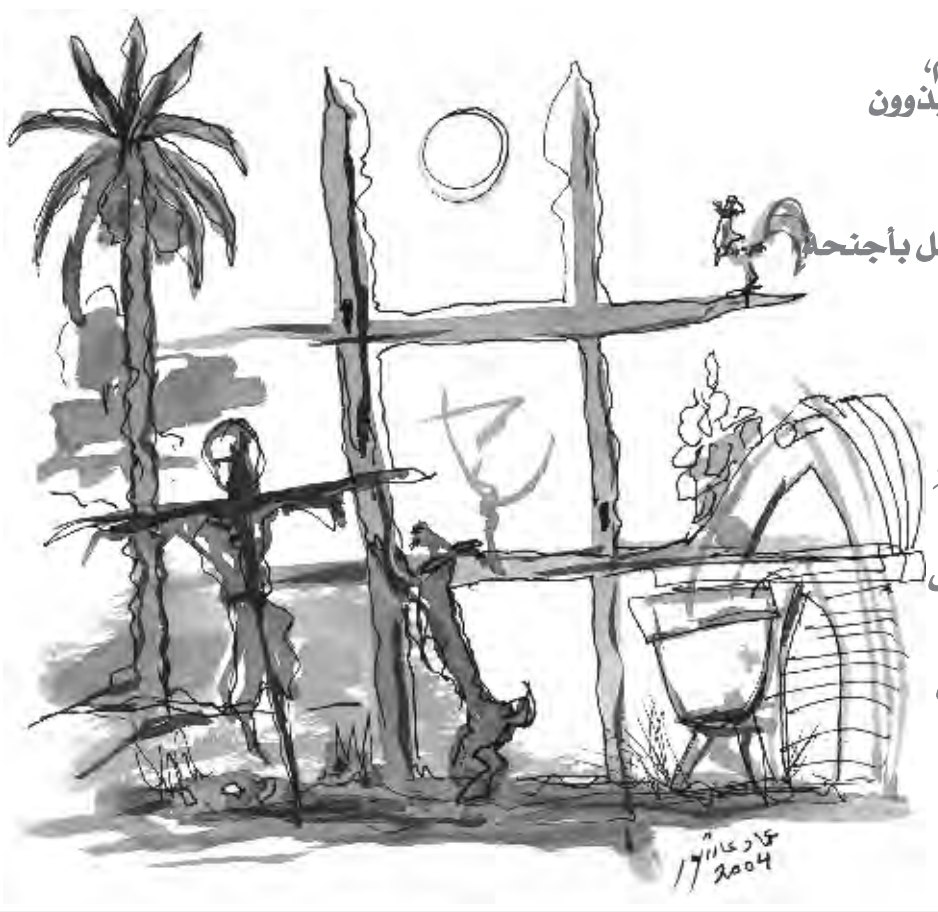

دون كيشوت في عراقيا

حين رأى دون كيشوت
زوبعتين
قادمتين
أثارهما في السهل
قطيعان من الضأن
قال:
-ماأعظم هذين الجيشين!
ألاتبصر ياسانشو
ذاك الفارس ذا الفرس البيضاء
والترس البيضاوي
وذاك الفارس
ذا السيفين المعقوفين
القادم باللحية والقنزعة الخضراء
ألاتبصر ياسانشو
ذاك الفارس
ذا لعينين الجاحظتين
والوجه القمري؟
انه...
-اشباح ماتبصر يامولاي
أشباح.. أشباح
قال:
الاتسمع نفخ الابواق وقرع طبول الحرب؟
-لاأسمع غير ثغاء خراف يامولاي
قال له:
تبا للخوف
واندفع يقاتل

صندوق باندورا(١)

كم حذرتك
الاتفتح هذا الصندوق؟
وحين فتحته
وانطلقت كل شرور العالم،
ماعاد هناك سوى ناس يذوون
وريح هوجاء
وشمس لاهبة
ومياه تسود
ومخلوقات شائهة كالنحل بأجنحة
وشرور صاخبة
كم حذرتك
ألاتفتح هذا الصندوق؟
وكم حذرتك؟
ألا تغلق هذا الصندوق؟
وقد ظل هنالك في قاعه
ماينقذنا:
مخلوق
أقوى من كل شرور الارض
الاابصرته؟
أصغر مخلوقات الارض
وأجمل مخلوقات الارض
جناحان
رقيقان
وعينان
ساحرتان
لو أبصرته
لو تفتح هذا الصندوق
الاتفتحه؟

مدينة الاشباح

في الليل
في مدينة اللصوص
في (عراقيا)
تنطلق الاشباح الى المدن الاخرى
ويسهر بابا نوئيل
بلحيته الكثة وعمامته البيضاء
عند بوابة المدينة
بانتظار هداياه:
رأس مقطوع
ساق شاردة
وجه دام
وصناديق معبأة
بم؟
لا أحد يعرف ابداً
لكن يحرص بابا نوئيل
ان يقسمها بالعدل
وحين يجيئ الفجر
وتستيقظ كل الطرقات
من غفوتها
تنتشر الاشباح
تتنقل بين الاحياء
تتحدث ساخرة
وقد علقت قطرات دم فوق مخالبها
(لم تغسل بعد):
عن فوضى المدن الاخرى
وفساد الناس

(١)هو الصندوق الذي حوى كل شرور العالم، فتحته باندورا خطأ وحين سارعت الى غلقه كان ثمة مخلوق مجنح صغير هو الامل ناشدها ان تطلقه ليبطل مفعول الشرور التي انطلقت من الصندوق على شكل مخلوقات كالنحل.

فاختة البحر

صدر للشاعر البصري عبد الله حسين جلاب ديوانه الشعري الأول تحت عنوان (فاختة البحر)، وهو تجربة شعرية ضمت ثلاثة أقسام هي: تكوينات، وفاختة البحر، وفي الرؤيا: البراق، وقد قدم الشاعر لكتابه بتقديم عنوانه (في الكتابة) جاء فيه: دوماً في منطقة الرؤيا أجد نفسي. وجهي وراء اللثام وفي جيبي البرق، أمس، بعصاي النجوم مستعيراً "قامة عوج بن عنق وعيني الجاحظ" فأنا في التشوش دليل القوافل.. بين قبضتي ونهاية عصاي مسافة من زمن لا يحد. والكتاب يتوجه في سعيه الشعري لالتقاط سمات عالم خاص تضيئه مفردة البيئة الجنوبية في العراق وهي تحيا ضمن دأب الشاعر وهو يؤرخ لتجربته مثلما يؤرخ لحلم العالم من حوله، عالم اللقطة الدقيقة المكتفية والأمل المستحيل.

نفذ لوحة غلاف المجموعة الفنان عبد العزيز أحمد.

التلقي والنص الشعري

بابل / مكتب المدى

صدر للناقد ذياب شاهين كتاب جديد عن دار الكندي بالاردن في عام ٢٠٠٤ وتضمن هذا الكتاب عدداً من الدراسات النقدية التي تناولت نظرية الاستقبال وسلطة القراءة، وقدم تطبيقات خاصة عن مستوى التلقي ونوعية التأويل لعدد من النصوص الشعرية لشعراء من العراق / والاردن / وفلسطين / والامارات.

وقدم الناقد الشاهين كتابه بمدخل نظري استثمر فيه اراء العديد من النقاد الذين اهتموا بالتلقي واشار الى رأي رامان سلدن الذي اكد ان نظرية التلقي لا تعتمد على نقطة بدء فلسفية، لان ايزر وياوس اعتمدا حصراً على الظاهراتية وعلم التأويل في وصفها لعملية القراءة من خلال وعي القارئ.

وقرأ الناقد عدداً من النصوص الشعرية لكل من الشعراء محمود درويش / وسلمان داود محمد / ومنعم الفقير / ونادر هدى / وعبد الزهرة زكي وعدد اخر من الشعراء الذين تميزت تجاربهم بالتحديث ومحاولة اختراق السائد والثابت واكثر ما لفت انتباه القارئ لهذا الكتاب هو تنوعه ومحاولة الدخول الى مجالات جديدة في التطبيق السيميائي وخصوصاً في ملاحقته لسيمياء اللون في الشعر الاماراتي وسعيه للكشف عن الاصول التي ساهمت بصياغة وتشكيل الاطار الدلالي للالوان في التجارب الشعرية الاماراتية. ومن القراءات المثيرة للاهتمام، محاولته الاقتراب للمكان المقدس في الادب العراقي القديم، وسعيه لقراءة نظام الالوهة التي انتجت قداسة المكان الذي تبدت قداسته وحاز موقعاً مهيمناً من خلال وظائفه الدينية غير المتجانسة.. مختلفاً عن المكان الدنيوي المحكوم بتجانسه وحياده.

واشار الاستاذ الشاهين الى الدور الذي تمتع به المكان في الادب العراقي القديم وخصوصاً في ملحمة كلكامش بوصفها انموذجاً متميزاً.. وكان للمكان المقدس في الملحمة تنوع واضح ولهذا تأثير -حتماً -على تنوع القدسية / المحكومة بنظام الالوهة، ومن الامكنة المسيدة في الملحمة مدينة اوروك والمعابد العديدة.

واشار الباحث ذياب شاهين الى ان عملية البناء او اعادة البناء هي تدشين عهد جديد مختلف بطقوسه وعقائده وشعائره، مثلما يمثل نظاماً ثقافياً / ودينياً جديداً له ارتباط عضوي بسيادة السلطة السياسية / او الدينية وهذا ما يمكن ملاحظته في ملحمة الخليقة البابلية وحصراً في النص المكرس لبناء معبد الايساكيلا للاله القومي مردوخ الذي حسم الصراع مع الام لصالحه.

وتضمن الكتاب عدداً من الدراسات والمقالات النقدية الجديدة منها سيمياء اللون الاحمر في الشعر وقراءة للبنى العميقة في نص رسول ضائع للشاعر عبد الزهرة زكي وحسين عبد اللطيف حيث توصل الى ان لغة الشاعر حسين عبد اللطيف خلقت جسوراً بين النص والمتلقي، لانها تبلورت واضحة واسست تأثيرها على المتلقي والقارئ.

وقرأ الشاهين عنونة النص بوصفها فاتحة لسانية تفضي الى قراءة تأويلية لا تختلف عن فن النص كما انها -العقبة -تؤدي فنياً وفكرياً الى العناصر الداخلية التي ساهمت بتشكل النص وصعوده دلالياً. ومن الشعراء الذين تابع الناقد والباحث ذياب الشاهين قراءة تجاربهم برهان شاوي وسلمان داود محمد وحميد سعيد وموفق محمد.